

المحاضرة السادسة: اضطرابات اللغة المرتبطة بالإعاقة الذهنية

مقدمة عامة

تُعرّف الإعاقة الذهنية بأنها حالة تتميز بقصور ملحوظ في كل من الأداء العقلي والسلوك التكيفي، يظهر قبل سن الثامنة عشرة، ويؤثر في مجالات متعددة من الحياة اليومية، خاصة التواصل والتعلم (American Psychiatric Association, 2013) وتُعد اللغة من أهم الأدوات التي يعتمد عليها الفرد في بناء المعرفة وتنظيم التفكير والتفاعل الاجتماعي، إذ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنمو المعرفي والانفعالي. لذلك فإن أي قصور في القدرات العقلية ينعكس بشكل مباشر على تطور اللغة واستخدامها. وتهدف هذه المحاضرة إلى تحليل طبيعة اضطرابات اللغة لدى هذه الفئة، وفهم خصائصها وأساليب التعامل معها تربوياً وعلاجياً.

1. تعريف اضطرابات اللغة (Language Disorders)

تشير اضطرابات اللغة إلى صعوبات مستمرة في اكتساب أو فهم أو استخدام اللغة المنطوقة أو المكتوبة، نتيجة خلل في العمليات المعرفية أو العصبية المرتبطة باللغة، وتشمل هذه الصعوبات جوانب المفردات، والتراكيب النحوية، والدلالات، والاستخدام الاجتماعي للغة (American Psychiatric Association, 2013) ولا تقتصر هذه الاضطرابات على تأخر بسيط، بل تمتد لتؤثر في القدرة على التواصل الفعّال والتعلم الأكاديمي. فعلى سبيل المثال، قد يواجه الطفل صعوبة في فهم جملة مثل "ضع الكتاب على الطاولة ثم أغلق الباب"، أو يعجز عن التعبير عن احتياجاته بجملة مفهومة، مما يؤثر على تفاعله اليومي.

2. لتمييز بين اضطرابات اللغة واضطرابات النطق والكلام

من الضروري التمييز بين اضطرابات اللغة واضطرابات النطق والكلام، حيث تتعلق اضطرابات اللغة بمحتوى الرسالة اللغوية وبنيتها واستخدامها، بينما ترتبط اضطرابات النطق والكلام بإنتاج الأصوات وسلامة الجهاز النطقي (Owens, 2016) فاضطراب اللغة يظهر عندما لا يستطيع الفرد تكوين جمل صحيحة أو فهم المعاني، مثل قول "أنا يذهب مدرسة أمس"، في

حين أن اضطراب النطق يتمثل في أخطاء صوتية مثل استبدال حرف /ر/ بـ /ل/، فيقول الطفل "جل" بدل "رجل". أما اضطرابات الكلام فقد تشمل التلعثم أو اضطرابات الطلاقة، حيث يكون المحتوى اللغوي سليماً لكن الإنتاج الصوتي مضطرباً.

3. مكونات اللغة: اللغة البراغماتية (الوظيفية)

تشير اللغة البراغماتية إلى الاستخدام الاجتماعي المناسب للغة في سياقات التواصل المختلفة، مثل بدء الحديث، وتبادل الأدوار، وفهم الإشارات غير اللفظية (Bishop, 2014) ويواجه الأفراد الذين لديهم اضطراب في هذا الجانب صعوبات في التفاعل الاجتماعي، فقد يتحدث الطفل دون مراعاة دور الآخر، أو يغير موضوع الحديث بشكل مفاجئ، أو لا يفهم النكت والتلميحات. فعلى سبيل المثال، قد يستمر في الحديث عن موضوع يهمله فقط دون الانتباه لاهتمام المستمع، أو لا يدرك متى يجب إنهاء الحوار، مما يؤثر في علاقاته الاجتماعية.

4. خصائص النمو اللغوي لدى الأفراد ذوي الإعاقة الذهنية

1- التأخر في اكتساب اللغة

مثال: طفل في سن الخامسة ما زال يستخدم كلمات مفردة مثل "ماء" أو "أكل"، بينما أقرانه يستخدمون جملاً كاملة مثل "أريد شرب الماء".

2- محدودية المفردات

مثال: يستخدم الطفل كلمات عامة مثل "هذا" و"شيء" بدل تسمية الأشياء بدقة، فيقول "أعطني هذا" بدل "أعطني القلم".

3- ضعف التراكيب النحوية

مثال: يقول الطفل "أنا يروح مدرسة أمس" بدل "ذهبتُ إلى المدرسة أمس"، مع غياب أدوات الربط أو التصريف الصحيح.

4- بطء في معالجة المعلومات اللغوية

مثال: عند إعطائه تعليمات مثل "خذ الدفتر وضعه على الطاولة"، يتأخر في الاستجابة أو يطلب إعادة التعليمات أكثر من مرة.

5- صعوبات في الفهم والتعبير

مثال: لا يفهم سؤالاً بسيطاً مثل "ماذا فعلت اليوم؟"، أو يجيب بإجابة غير مرتبطة مثل "أنا لعب"، دون توضيح أو تسلسل.

6- خصائص التواصل الاجتماعي

مثال: يقاطع الآخرين أثناء الحديث، أو لا ينظر إلى المتحدث، أو يتحدث عن موضوع واحد بشكل متكرر دون مراعاة اهتمام الطرف الآخر.

رابعاً: أنواع اضطرابات اللغة المرتبطة بالإعاقة الذهنية

تتنوع اضطرابات اللغة لدى الأفراد ذوي الإعاقة الذهنية لتشمل اللغة الاستقبالية والتعبيرية والبراغماتية، حيث يعاني هؤلاء الأفراد من صعوبات في فهم التعليمات اللفظية، خاصة تلك التي تتضمن مفاهيم مجردة أو تراكيب معقدة (Abbeduto et al., 2007) كما يظهر القصور في اللغة التعبيرية من خلال محدودية المفردات وبناء جمل قصيرة وغير مكتملة نحوياً. أما على المستوى البراغماتي، فتبرز صعوبات في بدء الحوار والحفاظ عليه وفهم الإشارات الاجتماعية. ويؤدي هذا التداخل بين الأنواع إلى ضعف شامل في الكفاءة التواصلية، مما يستدعي تدخلات متعددة الأبعاد.

خامساً: العوامل المؤثرة في اضطرابات اللغة

تتأثر اضطرابات اللغة لدى الأفراد ذوي الإعاقة الذهنية بعدة عوامل متداخلة، من أبرزها درجة الإعاقة، حيث تزداد حدة الصعوبات اللغوية مع زيادة شدة القصور المعرفي (Chapman, 2006) كما تلعب العوامل العصبية دوراً أساسياً في تحديد كفاءة معالجة المعلومات اللغوية. إضافة إلى ذلك، تؤثر البيئة الأسرية والتربوية من خلال نوعية التفاعل اللغوي وفرص التعلم المتاحة. وقد تزيد الاضطرابات المصاحبة، مثل اضطراب طيف التوحد، من تعقيد الصورة اللغوية. لذلك فإن فهم هذه العوامل ضروري لتصميم برامج تدخل فعّالة ومناسبة لكل حالة.

تقييم اضطرابات اللغة

يُعد تقييم اضطرابات اللغة خطوة أساسية لتحديد طبيعة الصعوبات ووضع خطط التدخل المناسبة، ويعتمد على استخدام أدوات متعددة مثل الاختبارات المعيارية والملاحظة المباشرة والمقابلات مع الأسرة والمعلمين (Shipley & McAfee, 2015) ويركز التقييم على ثلاثة مجالات رئيسية: الفهم اللغوي، والتعبير، والمهارات البراغماتية. كما ينبغي مراعاة الخصائص المعرفية للفرد أثناء التقييم لتجنب التقليل أو المبالغة في تقدير قدراته. ويُفضل اعتماد التقييم الديناميكي الذي يأخذ بعين الاعتبار قابلية التعلم، وليس فقط الأداء الحالي.

استراتيجيات التدخل والعلاج

يرتكز التدخل في اضطرابات اللغة على مبدأ التدخل المبكر، لما له من أثر إيجابي في تحسين المهارات التواصلية (Guralnick, 2011) وتشمل الاستراتيجيات تدريب المفردات، وتعليم التراكيب اللغوية بشكل تدريجي، واستخدام الوسائل البصرية لتعزيز الفهم. كما يُعد تنمية التواصل الوظيفي هدفاً أساسياً، بحيث يتمكن الفرد من استخدام اللغة في مواقف الحياة اليومية. ويؤدي إشراك الأسرة والعمل ضمن فريق متعدد التخصصات إلى تعزيز فعالية التدخل، حيث يتم توحيد الجهود بين المختصين لتحقيق أفضل النتائج.

تطبيقات تربوية

تتطلب العملية التعليمية للأفراد ذوي الإعاقة الذهنية تكييف المناهج بما يتناسب مع قدراتهم اللغوية والمعرفية، من خلال تبسيط المحتوى واستخدام أساليب تعليمية مرنة (Hallahan et al., 2019) كما يُنصح باعتماد التعليم الفردي الذي يراعي الفروق الفردية، إضافة إلى تعزيز فرص التواصل داخل الصف عبر الأنشطة التفاعلية. ويساهم استخدام التكنولوجيا، مثل التطبيقات التعليمية والوسائط المتعددة، في دعم تعلم اللغة وتحفيز المتعلمين. وتُعد البيئة الصفية الداعمة عنصراً أساسياً في تحسين الكفاءة اللغوية والاجتماعية.